Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تابعنا كلام ابن رشيق فى الأسباب التى دفعته إلى تفضيل مطلع امرىء القيس أو الموافقة على تفضيله لاختلط الحابل بالنابل فى نقد الشعر ، ولأصبح كل كلام موجز فى الشعر أجوده مهما كان ساذجاً أو سطحياً ، ولانتقض المقياس الذى وضعه هو ليستحق الشاعر به أن يكون شاعراً انتقاضاً شديداً .

وأما الباحثون والنقاد المحدثون فإنما كانت موافقتهم الضمنية على تفضيله بسبب أن نقدهم كما سبق اعتمد على التعميم وإصدار الأحكام على الشعر الجاهلى أو القديم كله ، دون محاولة النقد التطبيقى ، بتطبيق أحكامهم النقدية على واقع الشعر قصيدة قصيدة ، فهم لم يحاولوا نقد هذا المطلع أو غيره لذاته ، وإنما يجعلونه ضمن الأحكام العامة التى يصدرونها . وحتى إذا نقدوه ليصدروا عليه حكما لذاته فلن يستقيم لهم الحكم بجودته فى أى اتجاه من اتجاهات الدراسة الحديثة التى أشرنا إليها ، لأنه فى واقع الأمر لا يتضمن معنى خاصا يمكن أن يرمز به إلى شىء معين ، أو يعبر به عن حالة معينة ، بل ولا يتضمن طابعا شاعريا ، لا فى خيال ولا فى مشاعر وانفعالات ، لأنه لم يزد على أن صور كأنه مسافر أو ماض فى طريق ، فعن له فجأة تذكر حبيب كان فى هذا المكان ، أو عرضت له فجأة هذه الدار التى كان فيها حبيب ، فرغب فى أن يتوقف عن المضى حتى يبكى هذا الحبيب وهذه الدار ، وليس فى هذا شىء متميز يستوقف التأمل الفكرى للبحث عن رمز ، ولا الذوق الأدبى للبحث عن معنى شاعرى ، ولو أنه صور لنا أثر هذه الذكرى فى مشاعره وانفعاله مثلا كما قال كعب بن زهير (بانت سعاد فقلبى اليوم متبول) [٧] لدعانا إلى تأمل ما تركته هذه الذكرى فى قلبه ومشاعره . ولكن الموقف كله أصبح فى نفسه مجرد ذكرى (ذكرى حبيب ومنزل) خالية من أى أثر فى قلبه ومشاعره فليس إذن فى مطلع امرىء القيس من الوجوه التى نظر إليه من خلالها القدماء والمحدثون ما يوحى بجودة أو ميزة شعرية ، فضلا عن وصفه بالتفوق .

ولكننا إذا نظرنا إليه من خلال الوجهة التى يتجه إليها هذا البحث ، وهى نفسية الشاعر إزاء الموقف وموضوع القصيدة بصفة خاصة يختلف الوضع اختلافا غير يسير ، ويكفى أننا لن نستطيع حينئذ أن ننفى عنه الجودة التى انتفت فى النظرات السابقة ، بل قد نجد فى أدائه للغرض الذى قصده الشاعر حينئذ جودة نحاول أن نتبينها أو نتبين مقدارها فى ضوء عرضه على نفسية الشاعر بصورة مباشرة ، وحين ننظر إليه من خلال اتجاه هذا البحث نقول :